بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة بعنوان:

التحذير من خطورة التكفير

بقلم المفكر الإسلامي

الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ١٧ رجب ١٤٤٦هـ / ١٧ يناير ٢٠٢٥م

الحمد لله رب العالمين، الذي أمرنا بالاعتصام بحبله المتين، ونهانا عن التفرق والتكفير، ودعانا إلى الرحمة والتراحم والمرحمة، والرفق بكل مفردات الطبيعة والكون، والحفاظ على كرامة النفس البشرية في كل وقت وحين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة: ١٢٨-١٢٩).

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ *** مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

عباد الله: أوصيكم ونفسي المقصّرة بتقوى الله..يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) ..

أما بعد،

حراسة الإسلام لشمل الأمة بشتى أطيافها ومكوناتها:

الإسلام دين الرحمة، والرفق، ومراعاة الفضل في جميع المعاملات، وهو دين العدل والخير والبر والأخوة الإنسانية والعفو والصفح الجميل والتعددية والسماحة...

والسماحة تصدر من أعماق القلوب المؤمنة وفق الفطرة التي فطر الناس عليها.

وقد جاء النبي العظيم سيدنا محمد (ﷺ) لينشر الأمن والأمان والإيمان... جاء ليعلم الجاهل، ويُرشد الحائر، ويُؤَمّن الخائف...

- ويُعَلّمَنَا التريث في اتخاذ القرارات وفي إصدار الأحكام.
- ويُعَلّمَنَا جبرَ الخاطر مع كل الناس ومع كل المخلوقات

- ويُعَلِّمَنَا أن نُعيذ مَن استعاذ بالله، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: (مَن استعاذ باللهِ فأعيذوهُ، ومَن سأل باللهِ فأعطوهُ، ومَن دعاكم فأجيبوهُ، ومَن صنع إليكم معروفًا فكافِئُوهُ فإن لم تجدوا ما تُكافِئُونَه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموهُ)[١].

وحتى المُشرك غير المحارب الذي استجار بك، أمر الله تعالى بتأمينه وحمايته ورعايته، قال الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ) (التوبة: ٦)، فما بال بعض الحُدثاء ضعاف النفوس والقلوب، يكفرون عباد الله المؤمنين!!.

- ويُعَلِّمَنَا (ﷺ) الأخوَّةَ الإنسانية، وأننا جميعًا من نفسٍ واحدة، ومن ثَمَّ نحن إخوة، ويجب أن تكون هذه الحقيقةُ ماثلةً أمامنا على الدوام.
- ويُعَلِّمَنَا حفظَ الأعراض، وعدمَ سُخرية الإنسان من أخيه الإنسان، وعدمَ التَّنابز بالألقاب، واجتنابَ الظنّ السيّئ، والابتعادَ عنِ التَّجسس، والتلصُّص، والغَيبة، والنَّميمة، والتفسيق، والتكفير.. وغيرها من الآفاتِ الهدّامة للبناء الاجتماعي، والمؤجّجة للصراع في جَنَبات المجتمع.
- ويُعَلِّمَنَا أنَّ الغشَّ والتدليسَ والخداعَ حرام، وأنَّ الإسلام لا يرضى أبدًا لمجتمعاتِه أنْ يَتغالبَ فيها الناسُ بالمكر والخديعةِ والفتنِ والنَّوايا الخبيثة؛ بل يريد مجتمعًا تَسْري في أوصالِه شَرايين الأخوَّة، ودماءُ الصدق والنُّبل والعفاف، وتَحرّي الحلال والإخلاص لله.
- ويُعَلِّمَنَا أن يكون المسلمُ هاشًّا باشًّا بسَّامًا بشوشَ الوَجه قدوةً حَسنة، مُهندمًا، نظيفًا، جَميلًا في قوله وفعله وسمته وحاله وهندامه على الدوام.
- ويُعَلِّمَنَا حُسْنَ التَّودُّد، والْمُزاورة، وَالْمُواصَلة، وَالْمُكارَمَة، وإنزالَ الناس منازلهم، واحترامَ كبار القوم، والشّيوخ والمسنّين، وشتى القوى والأطياف المكوّنة للمجتمع، وإكرامَهم.
- ويُعَلِّمَنَا البعدَ عنِ التَّعقيد والجمود والتشدُّد والتزمُّت والإفراط والتفريط؛ والتزامُ التَّيسير والتوازن والوضوح والتثبت وعدم رمي الناس بالباطل (تبديعًا، أو تفسيقًا، أو تكفيرًا)، وترك الأمور لأولي الأمر (كل في مجاله).
- ويُعَلِّمَنَا مراعاة الحقوق العامَّة للناس المنظِّمة للعلاقات الإنسانية بين الناس، واجتناب ما حرَّمَه اللهُ تعالى.
- ويُعَلِّمَنَا حماية الجار وإكرامه والحفاظ عليه والوصية الكاملة به.
- ويُعَلِّمَنَا أن نَبتعدَ عنِ الجدال، حتى وإن كنّا مُحقّين، حتى لا نُوغر النفوس والقلوب، ونُضيّع أوقاتَنا وقوانَا هباء.
- ويُعَلِّمَنَا أن نَصبرَ على الناس، وبالتَّعبير الدّارج "نِطوّل بالنا عليهم"، ولا نتكبَّر عليهم ولا نَتجبَّر؛ بل نَتواضَعُ معهم.
- ويُعَلِّمَنَا أن نضبط ألسنتنا، وننتقي الكلماتِ الطيبة المريحَة للقلب والنَّفس عند الحديثِ مع الآخرين، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ) (إبراهيم: ٢٤-٢٦)، ويقول (ﷺ): (مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيصمُتْ)[٢].

وهكذا..

- ✓ يوحد الإسلامُ القلوبَ، ويجمع شمل الأمة بكل عناصرها ومكوناتها وأطيافها.
- ✓ وينهى عن التباغض والصراع بكل صوره وأشكاله.
- ✓ ويحذر تحذيرًا بالغًا من التكفير؛ لما يترتب عليه مفاسد خطيرة وفتن عظيمة، ناهيك عن استحلال الدماء والأعراض، وإشاعة الفتنة بين المسلمين، والعياذ بالله.

(١) النووي في رياض الصالحين– صحيح

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه.

ومن المؤسف حقًّا أنك ترى بعد كل هذه المُثل العليا، والقيم والتوجيهات العظيم التي جاء بها الإسلام ورسوله الرحسم، مَن يخرج علينا يوجهه الكالح العابس الرهيب، ليطلق قذائق مدوية من عقله وقلبه ولسانه، ربنا تفوق في أذاها النفسي، المدافع والرشاشات، إنه الجاهل الجهول الذي ابتعد بعيدا بعيدا عن معاني الرحمة ومقاصدها التي جاء الشرع الشريف ليرسخها في العالمين..

الخطير أنه نصَّبَ نفسه منصبا خطيرا للحكم على الناس، إنه المحتال الذي انتحل صفة من صفات الجلال!!

احذروا... وحذروا من الفكر التكفيري ومن أتباعه:

مفهوم التكفير:

أيها المؤمنون:

احذروا... وحذِّروا من الفكر التكفيري ومن أتباعه، فهو يُشكل أحد المخاطر التي تهدد استقرار أوطان المسلمين وتقدمها، وهو معول هدم، يسعى إلى تقويض أسس الأمن والبناء والتنمية، ويمتد تأثيره للتأثير على حاضر الشعوب ومستقبلها.

وهذا النهج المتطرف يجد جذوره في لدى أصحاب الفهم الخاطئ للنصوص الدينية، مما ينتج عنه أضرار جسيمة، ومن هنا فإننا في مسيس الحاجة إلى الفهم العميق لمقاصد الدين، والسعي الحثيث نحو تجديد فهم الدين بضوابط ومنهجيات علمية ومنضبطة، بحيث ينطلق هذا التجديد من أصالة الفكر الإسلامي، ومراعاة المستجدات، التي تتطلب علماء أجلاء:

- يحسنون فهم النص الشريف.
- ويحسنون فهم الواقع.
- ويحسنون في تنزيل النص على الواقع الجديد.

ويبقى الأزهر الشريف المعمور النبع الفياض، والشريان الحيوي الذي يمد المسلمين في شتى أنحاء الأرض بالفكر السديد، وينفي عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة وتكفير المسلمين.

مفهوم التكفير:

تعريف التكفير: التَّكْفِير تفعيل من الكُفْر، وهو مصدر كَفَّر، يقال: كفَّره (بالتشديد) تكفيرًا: نَسَبَه إلى الكفر.

حكمه:

التكفير أمر خطير جد خطير، ولا يجوز لأي مسلم أن يتسرع في إطلاقه؛ فهو من أخطر القضايا التي تهدد وحدة الأمة الإسلامية وتزرع الفتنة والشقاق بين أبنائها.

والوصف بالكفر حرام وذلك إذا كان مَن يوصَف بالكفر مسلمًا باقيًا على إسلامه، ولم يقم الدليل على كفره؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) (النساء: ٩٤)، ولقوله (ﷺ): (مَن صَلَّى صَلَاتَنَا واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذلكَ المُسْلِمُ الذي له ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رَسولِهِ، فلا تُخْفِرُوا اللَّهَ في ذِمَّتِهِ) [٣]، ومعني ا تُخْفِرُوا: احفظوا، لا تُخْفِروا ذِمَّته بأن تعتدوا عليه.

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: (أَيُّما رَجُلٍ قالَ لأخِيهِ: يا كافِرُ، فقَدْ باءَ بها أحَدُهُما) [٤]، ومن ثم فمنطقة التكفير خطيرة، والاقتراب منها قد يودي بصاحبها في جهنم والعياذ بالله.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. انظر: التكفير-معناه-وضوابطه.. دار الإفتاء المصرية/www.dar-alifta.org/ar/Articles/٢٨٦٩

الآثار الخطيرة للتكفير:

التفسيق والتكفير أمور خطيرة للغاية، ومن ثم لا يجوز التهاون بها أو فيها أو التسرع في إصدارها؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى مفاسد عظيمة، وإحداث الصراع والشقاق والفتنة بين مكونات المجتمع، ويؤدي إلى نتائج كارثية، ويسيء إلى وحدة المسلمين.

والأصل في المسلم أن يلتمس العذر للآخرين، وأن يحسن الظن بهم، وأن يترك الحكم على الناس إلى الله سبحانه وتعالى، ثم إلى القضاء المختص إذا تطلب الأمر ذلك.

ومن الواجب علينا التثبت والتحري، فإطلاق الأحكام جزافًا قد يعود على القائل نفسه إن لم يكن صادقًا.

التكفير له آثار خطيرة على الفرد والمجتمع، حيث يؤدي إلى:

١. تمزيق وحدة الأمة، وإشغالها بسفاسف الأمور:

يؤدي التكفير إلى الفرقة والاختلاف الشقاق والفتنة، وشق الصف، بدلًا من الوحدة والاجتماع.

وإذا كان الله (سبحانه وتعالى) أمرنا جميعًا بالوحدة والاعتصام بحبله المتين، حيث قال: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ١٠٣-١٠٥)، فإن التكفير ينخر في جدار الأمة، ومعول هدم في أركانها، ومن ثم يجب الحذر الحذر.

والتكفير أيضا سلاح من أسلحة الأعداء، يرمون من وراء نشره إلى إحداث البلبة و إشغال الأمة وشبابها بسفاسف الأمور، وما جامعة تل أبيب الإسلامية –وغيرها– منا ببعيد؟!!.

٢. إباحة الدماء والأعراض:

إن انتشار التكفير في المجتمع يؤدي إلى تمزيق الأمة وإغراقها في وحول الجهل والجدال العنف الذي لا يأتي إلى بكل شر، ويؤدي إلى سفك الدماء والعياذ بالله؛ فهؤلاء الذين يتجرؤون على تكفير الآخرين يستحلون بغبائهم دماءَ الآمنين وأعراضهم بناءً على أحكام خاطئة.

فمن ذا الذي منحكم الحق في إصدار الأحكام على عباد الله؟

هل أطلعتم على الغيب أم اتخذتم عند الرحمن عهدًا؟

ما لكم كيف تحكمون؟!! ما لكم كيف تجرؤون على تصنيف الناس إلى مؤمن وكافر، صالح وطالح؟ ألا تدركون أنكم بهذا تنازعون الله فيما اختص به نفسه؟ فهو سبحانه وتعالى وحده الذي يعلم ما تخفيه النفوس وما تحمله الضمائر. قال الله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) (البقرة: ٢٢٠).

إن العمليات الانتحارية التي يقوم بها بعض الإرهابيين ناتجة عن تعبئة دينية خاطئة خطيرة، تحرض بعض الشباب على ارتكاب الجرائم، في ظل قيام آخرين بالتخطيط والتنفيذ لإشعال الفتن والدمار، الأمر الذي يدعونا بأن نولي هذه القضية، وقضية تطوير التعليم وترسيخ التفكير الناقد، وتنمية الانتماء الوطني، أهمية كبرى.

٣. تشويه صورة الإسلام في الشرق والغرب:

عندما تتبنى جماعات الظلام المتطرفة فكر التكفير، وتستخدمه لتبرير العنف، فإن هذا السلوك لا يبقى حبيس الحدود المحلية أو المجتمعات المسلمة فقط؛ بل ينتقل صداه فورا، ويتم تسليط الضوء عليه عالميًّا، من خلال وسائل الإعلام التي غالبًا ما تركز على هذا النوع من الأحداث؛ لتقديم الإسلام كدين عنف!!، مع أنه دين الرحمة بكل مفردات الطبية والكون من إنسان وحيوان ونبات وحتى الجماد.

والنتيجة المرتبة على ما سبق:

١- ترسيخ فكرة الإسلاموفوبيا في أذهان الناس في الغرب والشرق (وهي الخوف أو الكراهية تجاه الإسلام والمسلمين، وغالبًا ما تكون نتيجة سوء الفهم، التحيز، أو الإعلام المغرض).

٢- تصبح تلك الأعمال أدلة مزعومة تُستخدم لإثبات الروايات المغرضة عن الإسلام.

٣- الأفعال الناتجة عن التطرف توسع فجوة الفهم، وتجعل من الصعب على الناس التفرقة بين الإسلام كدين رحيم، وبين تصرفات هذه الجماعات.

٤- يتم استغلال هذه الصور في سياسات دولية معادية للمسلمين، مما يزيد من التمييز والكراهية.

واجبنا نحو هذه الظاهرة:

أيها المسلمون:

علينا جميعًا أن نحذر من قضية التكفير الخطيرة وأن نعمل على معالجتها بما يلي:

١. **تطوير التعليم، وترسيخ منهجية التفكير الناقد**، التي تساعد النشء والشباب على الفهم العميق لواقع الحياة، وتمكنهم من عمليات الفرز والانتقاء والغربلة، وحتى يكون كل واحد منهم محصنًا فكريًّا، وعصيًّا على الانسياق وراء التيارات الشاذة الضالة المضلة.

٢. **طلب العلم الشرعي الصحيح**: لأن الجهل والغلو والتقليد أهم أسباب التكفير. والحمد لله فإن الأزهر الشريف عطية الله لمصر والعالم، ورجاله في كل بقعة من بقاع الأرض، كما أن المؤسسات الإسلامية المعتبرة في كل مكان.

٣. **التثبت والتروي**: علينا أن نتثبت ولا نحكم على أحد بالكفر، وعلينا أن نحسن الظن بالناس ونتثبت فيما يردنا عنهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء: ٩٤).

ومن رحمة الإسلام العظيم: أن المسلم إذا لقي الكافر؛ فإن قال: لا إله إلا الله لم يجز قتله؛ لأنه قد اعتصم بعصام الإسلام المانع من دمه وماله وأهله: فإن قتله المسلمُ بعد ذلك قُتل به [٥].

قصة أسامة بن زيد (رضي الله عنه) الذي قتل الرجل الذي قال لا إله إلا الله:

فعن أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) قال: بَعَثَنَا رَسولُ اللَّهِ (ﷺ) إلى الحُرَقَةِ مِن جُهَيْنَةَ، قالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قالَ: ولَحِقْتُ أنَا ورَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ رَجُلًا منهمْ، قالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، قالَ: فَكَفَّ عنْه الأنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ برُمْحِي حتَّى قَتَلْتُهُ، قالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذلكَ النَّبِيَّ (ﷺ)، قالَ: فَقالَ لِي: يا أُسَامَةُ، أقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟!

قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّما كانَ مُتَعَوِّذًا.

[٥] انظر تفسير الإمام القرطبي للآية الكريمة.

قالَ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟! قالَ: فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أسْلَمْتُ قَبْلَ ذلكَ اليَومِ) [٦].

وفي رواية الإمام مسلم قال له النبي (ﷺ) (أفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتَّى تَعْلَمَ أقالَها أمْ لا؟)

وهذا الحديث يوضح مدى حرمة الدم المعصوم عند الله.

يخبر أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) أرسلهم في غزوة [٧] إلى الحُرَقَةِ، وهم قَومٌ مِن قَبِيلةِ جُهَيْنَةَ، وهي قبيلة عربية عريقة تُعدُّ من أكبر قبائل قُضاعةَ عددًا وأقدمهم ذكرًا، تنتشر ديارهم بين الحجاز وتهامة. وكان ذلك في رمضان سنة سبع أو ثمان من الهجرة.

فدخلوا عليهم صباحًا قبل أن يشعروا وهزموهم.

ولحق أسامة بن زيد ورجل من الأنصار رجلًا منهم، فلما اقتربا منه وكادا يقتلانه، قال الحُرَقِيُّ –قِيل: اسمُه نَهِيكَ بن مِرْدَاسٍ–: "لا إله إلا الله"، فشهد بالتوحيد ودخل الإسلام. فكف عنه الأنصاري ولم يقتله، لكن أسامة طعنه برمحه حتى قتله.

وعندما رجعوا إلى المدينة، بلغ النبي (ﷺ) ما فعله أسامة، فأنكر عليه النبي (ﷺ) قتله للرجل بعد أن شهد بالتوحيد؛ وذلك أن شهادة التوحيد تعصم دم صاحبها من القتل، فقال أسامة: «يا رسول الله، إنما كان متعوذًا» أي: لم يكن قاصدًا بذلك الإيمان، بل كان غرضه التحصن من القتل.

فقال رسول الله (ﷺ): «أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!» ظل النبي يكرر إنكاره والتشديد على فعلته، فتمنى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم؛ لأن الإسلام يجب ما قبله [٨].

وفي رواية الإمام مسلم قال له النبي (ﷺ) (أفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتَّى تَعْلَمَ أقالَها أمْ لا؟)

وكيف تصنَعُ بـ(لا إلهَ إلَّا اللهُ) إذا جاءت يومَ القيامةِ؟.

ونتعلم من هذا الموقف الجليل أن الحكم على الناس يكون بناءً على ظاهر أفعالهم، أما ما تخفيه القلوب فيُرجع أمره إلى الله، فلنا الظاهر والله سبحانه يتولى السرائر، ونتعلم عظمة مكانة كلمة التوحيد وأهميتها لأهلها، ووجوب قيام الحاكم بمحاسبة المخطئ بغض النظر عن مكانته. كما يجب على المؤمن أن يتجنب التسرع في إراقة الدماء.

٤-عدم الإكراه في الدين: قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة: ٢٥٦).

هذه الآية تذكّرنا بأن الإيمان مسألة قلبية، والله هو الذي يعلم ما في القلوب.

٥– نشر ثقافة التسامح: قال النبي (ﷺ): (يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا، ولا تُنَفِّرُوا) [٩].

٦– نشر ثقافة الرحمة:

قصة الرجل الذي طلب من أولاده أن يحرقوه بعد موته:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (أَسْرَفَ رَجُلٌ علَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقالَ: إذَا أَنَا مُتُّ فأحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي في الرِّيحِ في البَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي

---

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٧) قيل: بعَث رسولُ الله (ﷺ) سَرِيَّةَ غالبِ بن عبدِ الله اللَّيثيّ، إلى بني عُوَالٍ وبني عبدِ بن ثَعلبةَ بالمَيْفَعَةِ، وقِيلَ إلى الحُرَقَاتِ مِن جُهَيْنَةَ في مائةٍ وثلاثين رجلًا؛ فهجَموا عليهم جميعًا، وقتَلوا مَن أشرفَ لهم، واسْتاقوا نَعَمًا وشَاءً، وفي هذه السَّرِيَّةِ قَتَلَ أُسامةُ بنُ زيدٍ نَهِيكَ بن مِرْدَاسٍ بعدَ أن قال: لا إلَه إلَّا الله. فلمَّا قَدِموا وأُخْبِرَ النَّبيُّ (ﷺ)، كَبُرَ عليه وقال: (أَقَتلتَهُ بعدَ ما قال: لا إلَه إلَّا الله؟!). فقال: إنَّما قالها مُتَعَوِّذًا قال: (فَهَلَّا شَققتَ عن قَلبِه فتَعلمُ أَصادِقٌ هو أم كاذبٌ؟).

(٨) dorar.net/hadith/sharh/١٥٩١

(٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

عَذَابًا ما عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قالَ: فَفَعَلُوا ذلكَ بِهِ، فَقالَ –اللهِ– لِلأَرْضِ: أَدِّي ما أَخَذْتِ، فَإِذَا هو قَائِمٌ، فَقالَ له: ما حَمَلَكَ علَى ما صَنَعْتَ؟ فَقالَ: خَشْيَتُكَ، يا رَبِّ، أَوْ قالَ مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ له بِذلكَ) (١٠).

في هذا الحديث الشريف يذكر لنا النبي قصة رجل من بَني إسرائيلَ– أعْطاه اللهُ ورَزَقه مالًا وولدًا، ولمَّا حضَرَته الوفاةُ وجاءه المَوتُ وأيقَنَ أنَّه واقِعٌ به، وأخبَرَهم أنَّه لم يَبتَئر –أو لم يَبتَئِز– عندَ اللهِ خيرًا، أي: لم يَدَّخِر عملًا صالحًا يُدخِلُه اللهُ به الجنَّةَ، وأنَّه إذا رجَعَ إلى اللهِ؛ فإنَّه سيُعذِّبُه بما فعَلَ، وقيل بأنه كان نَبَّاشًا للقُبورِ، أي: يَسرِقُ أكفانَ المَوتى.

فلمَّا حَضَره المَوتُ خاف تَفريطَه، فطَلَبَ هذا الرَّجُلُ من أولادِه أن يُحرِّقُوه بعدَ مَوتِه، ثُمَّ يَسحَقُوه بعدَ أن يَصيرَ فَحمًا فيَجعلوه كالرَّمادِ، ثُمَّ يَنتظِروا يومًا تكونُ فيه الرِّيحُ شَديدةً فَيُلقُوه فيها، فَيَصيرَ رَمادُه مع الرِّيحِ، وفي رواية: «أذْرُوني في البَحْرِ»، أي: أمَر أولادَه أن يَضعوا هذا الرَّمادَ في البحرِ.

وأخَذَ من بَنيه العهدَ على فِعلِ ذلك، وقد جعَلَ الخوفُ هذا الرَّجلَ يَفقِدُ رُشدَه ويَظُنُّ أنَّه تَعالَى غيرُ قادرٍ على جَمعِه مرَّةً أُخرَى.

وقيل بأنَّه طَلَب ذلك خَوفًا منَ الباري تَعالَى، وتَحقيرًا لنَفسِه، وعُقوبةً لها بعِصيانِها، وإسرافِها، وتَذلُّلًا ورَجاءً أن يَكونَ هذا سَببًا إلى رَحمَتِه، ولَعلَّه كان مَشروعًا في مِلَّتِه.

ولذلك لَمَّا جَمَعَه اللهُ تَعالَى وقال له: «كُن»، فعاد إنسانًا كامِلًا كما كان قبلَ حَرقِه بقُدرتِه (سُبحانه وتعالَى)، فَسَألَه الله عَنِ الَّذي حمَلَه على فِعلِ ذلك، فقال الرَّجلُ: «مَخافتُك» وهذا دَليلٌ على إيمانِه؛ إذِ الخَشيةُ لا تَكونُ إلَّا لمُؤمِنٍ، فَتدارَكَته رَحمةُ ربِّه عندَ قولِه ذلك. فغفر له (١١).

٧- تغليب الرحمة والرفق على العقاب والتسرع:

قصة حاطب بن أبي بلتعة.. ومحاولته أسرار التحرك لفتح مكه:

أرسل حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه)، رسالته إلى قريش يُخبرهم فيها بخطة النبي ﷺ في فتح مكة.. فماذا حدث؟

فعن أبي حفص عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما): كَتَبَ حاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ إلى أهْلِ مَكَّةَ، فأطْلَعَ اللهُ تَعالَى عليه نَبِيَّه (ﷺ)، فبعَثَ عليًّا والزُّبَيْرَ في أثَرِ الكِتابِ، فأدْرَكَا امرأةً على بَعِيرٍ، فاستَخْرَجاهُ مِن قَرْنٍ مِن قُرونِها، فأتَيَا بهِ نَبِيَّ اللهِ (ﷺ) فقُرِئَ عليه.

فأرْسَلَ إلى حاطِبٍ، فقالَ: يا حاطِبُ، إنَّك كَتَبْتَ هذا الكِتابَ؟.

قالَ: نعَمْ يا رسولَ اللهِ.

قالَ: فما حَمَلَكَ على ذلِكَ؟.

قالَ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي واللهِ لناصِحٌ للهِ ولرَسولِهِ (ﷺ)، ولكنِّي كُنْتُ غريبًا في أهْلِ مَكَّةَ، وكان أهْلِي بيْن ظَهْرَانَيْهِم، فخَشِيتُ علَيْهِم، فكَتَبْتُ كِتابًا لا يَضُرُّ اللهَ ورسولَهُ شَيئًا، وعسى أنْ يكونَ فيه مَنفعةٌ لأهْلِي.

قال عُمَرُ: فاخْتَرَطْتُ سَيْفي، وقُلتُ: يا رسولَ اللهِ، أمْكِنِّي منهُ؛ فإنَّه قدْ كَفَرَ، فأضْرِبَ عُنُقَه، فقالَ رسولُ اللهِ (ﷺ): يا ابنَ الخَطَّابِ، وما يُدرِيكَ؟ لعلَّ اللهَ قدِ اطَّلَعَ على أهْلِ هذه العِصابةِ مِن أهْلِ بَدرٍ، فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم؛ فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لكُم) (١٢)..

---

(١٠) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(١١) https://dorar.net/hadith/sharh/١٦٤٥٣

(١٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم، كما أخرجه البخاري بلفظ آخر.

خطر اللسان:

أيها المسلمون، لنتق الله في أنفسنا وفي إخواننا، ولنكن دعاة خير وود وسلام ورحمة ووحدة لا دعاة فرقة وتبديع وتفسيق وتكفير.

ولقد حذر الرسولُ العظيم (ﷺ) من خطورة اللسانِ، فلما سألَه معاذ بنِ جبل (رضي الله عنه): يا رسولَ اللهِ، وإنَّا لمُؤاخَذونَ بما نَتكلَّمُ به؟! فقال (ﷺ): (ثَكِلَتكَ أُمُّكَ يا مُعاذُ، وهل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجوهِهم- أو قال: على مَناخِرِهم- إلَّا حَصائدُ ألسِنتِهم؟!)(١٣).

وقال (ﷺ): (المسلمُ من سلم الناسُ من لسانه ويدِه، والمؤمنُ من أمنه الناسُ على دمائهم وأموالهم) (١٤).

وقال (ﷺ): (مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيقُلْ خيرًا أو لِيصمُتْ)(١٥).

وقال (ﷺ): (مِن حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يعنيهِ)(١٦).

رسالتي لكل واحد من الناس:

أولا: توقف عن تنصيب نفسك قاضيا على الناس

واعلم:

- أنك لستَ معصومًا.
- ولستَ معيارًا للحقيقة المطلقة.
- ولم يُنَصبك أحد وصيًّا على قلوب الناس وأعمالهم.
- وأن الحكم لله وحده، فهو الخبير بعباده، فلا تدع نفسك تنزلق إلى منزلة ليست لك.

ثانيا: تذكر أنك تخطئ كما يخطئ غيرك

أنت لست فوق الخطأ، ولا أحدٌ معصوم إلا الأنبياء والمرسلون. قبل أن توجه اتهامًا لأحد انظر إلى نفسك أولًا.

ثالثا: لا تجعل نفسك المقياس للدين

- الدين ليس ملكًا لأحد
- وكل إنسان له طريقته في السير نحو الله سبحانه وتعالى، وربك أعلم بمن اهتدى.
- اترك الحكم لله، فهو الأعلم بمن يستحق الرحمة ومن يستحق العتاب.

رابعا: لا تسلب الناس حقهم في الخطأ والتوبة

- كلنا نُخطئ، وكلنا بحاجة للتوبة.
- لا تكن حارسًا على الآخرين وكأنك منزه عن العيوب.
- ركز على إصلاح نفسك بدلًا من تتبع زلات غيرك.

خامسا: ابتعد عن توزيع الألقاب والتهم

توزيع الألقاب كـ "كافر" و"فاسق" ليس وظيفتك.

- أنت لست المعيار الذي يُقاس عليه الناس.
- لا تجعل من نفسك حاجزًا بينهم وبين الله.
- الرحمة أوسع مما تظن، فكن رفيقًا قبل أن تكون ناقدًا.

---

(١٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.
(١٤) أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد.
(١٥) أخرجه ابن حبان.
(١٦) أخرجه الترمذي وابن ماجة.

سادسا: كن متواضعًا، فالتكبر ليس من صفات المؤمن

التعامل مع الناس وكأنك دائمًا على حق وكأنك الأصل الذي يُقاس عليه الصواب خطأ عظيم. التواضع هو مفتاح الحكمة، فلا تجعل من نفسك حاجزًا بينهم وبين الهداية.

سابعا: أعط نفسك فرصة لتكون منصفًا

الإنصاف يعني أن تتجنب إطلاق الأحكام المطلقة على الآخرين. البشر ليسوا أبيض وأسود، فكل شخص له إيجابيات وسلبيات. لا تضع نفسك في مكان لا يليق إلا بالله.

أيها الأخوة المؤمنون:

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتَّخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسولُ الله عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله..يقول الحق (تبارك وتَعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) **أما بعد،**

التحذير من الغش:

علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ)، أن نبتعدَ عنِ الغشِّ بشتى صوره وأشكالِه، وأنَّ مَن غشَّ فليسَ منّا.

فعن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه، فرأى بللا، فقال: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟) قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَش فَلَيْسَ مِنِّي!) (١٧).

التجارة باب من أبواب الكسب الطيب، والرزق الحلال، وقد نوه الله بها، وأمر بالانصراف إليها بعد الفراغ من صلاة الجمعة التي أمر الناس بترك البيع لأجلها. ولكن التجارة لا تقع موقعها عند الله، ولا تكون ابتغاء من فضل الله إلا إذا توخى فيها أهلها جهات الصدق والإحسان، والبعد بها عن أساليب الغش والخداع.

أما إذا خالطها الجشع والحرص على الكسب من أي طريق كان؛ فإنها تنقلب شرا ووبالا، وتصير كسبا خبيثا غير مأمون العاقبة في الدنيا، ومستوجبا لغضب الله في الآخرة .

وقد أرشد النبي الكريم (ﷺ) إلى ما يجب على التاجر أن يتحاشاه، وما يجب عليه أن يرعاه؛ حتى يكون في كنف الله، وينال المنزلة التي أعدت للتاجر الصادق، قال: (التاجر الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ) (١٨).

وأبرز ما يجب على التاجر أن يتحاشاه الغش في السلع؛ ويكون بإخفاء ما فيها من عيب؛ ينقص قيمتها أو يفسدها على المشتري.

وقد كان النبي (ﷺ) حريصًا على أمته يخشى عليها أن تقع في مخالب أرباب الغش والخداع، فكان يتفقد شئونها بنفسه، ويضرب المثل البارزة لأرباب الولايات ورؤساء المصالح في الحرص ما يجري بين الأفراد من معاملات.

(١٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(١٨) أخرجه الإمام الترمذي.

وقد لمس بيده الكريمة ذات مرة بلل الطعام الذي سره مظهره وأغضبه مخبره، فأنكر على البائع أن يحتال في تصريفه بوجه يخدع الأبصار، جيده الظاهر، ويخفي عنها عيبه الباطن، وقال له تحذيرا من مثل هذا الصنيع الممقوت تلك الكلمة الحازمة التي يجب أن يتخذها المؤمنون شعارًا في معاملاتهم، وفي جميع أحوالهم: (مَنْ غَشَ فَلَيْسَ مِنَّا).

تعدد صور الغش:

وإذا كان هذا شأن من يغش في حفنة من طعام، ويخدع عن درهم من مال؛ فما بال من يغش ويخدع فيما هو أعظم من ذلك وأجل خطرًا ؟!

فينا الصانع الذي يدلس في صناعته.

وفينا الصديق الذي يخدع أصدقاءه

وفينا الزوج الذي يخدع زوجته.

وفينا الزوجة التي تخدع زوجها.

وفينا الأجير الذي يخدع صاحب العمل. فينا هؤلاء.

وفينا من يخادع في المصلحة العامة: يخادع نفسه ويخادع الناس.

كل هؤلاء كصاحب الطعام الذي غش فيه، بل هم أشد منه خطرًا وأعظم عند الله وزرا، فليرحم الناس أنفسهم، وليحذروا الغش والخديعة في جميع أعمالهم ونواحي حياتهم [١٩].

اللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وألف بين قلوب المسلمين، واهدنا سبيل الرشاد، واغفر لنا وللمسلمين أجمعين.

نسأل الله السلامة لنا ولأولادنا، ولمجتمعنا ولشعبنا..اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..وأقم الصلاة.

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(**الدكتور أحمد علي سليمان**)؛ **لمتابعة كل جديد**

https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/

(١٩) راجع: فضيلة الشيخ/ محمود شلتوت، وفضيلة الشيخ/ محمد المدني: أحاديث الصباح في المذياع، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، هدية مجلة الأزهر، رجب ١٤٤٦هـ، ص ١٧٩-١٨٢ بتصرف.